الفصل الأول

العلوم المساعدة في منهج البحث الأثري

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

العلوم المساعدة في منهج البحث الأثري

تتعدد العلوم المساعدة للبحث العلمي في التاريخ والآثار فيما بين علوم اجتماعية وإنسانية، ومهارات تدرس النشاط الإنساني وظواهره[1].

فالمقبل على دراسة التاريخ والآثار تلزمه دراسة عميقة ومتنوعة؛ ذلك أن دراسة التاريخ والآثار شأنها في ذلك سائر أنواع العلوم والمعارف، متداخلة ومتشابكة.

فمثلاً لا يستطيع الدارس أن يفهم القرآن الكريم دون أن يحسن معرفة اللغة العربية، وعلوم القراءات، والفقه، والحديث الشريف، والتصوف، والأدب، والتاريخ، والجغرافيا ... إلخ، وكلما ازدادت معرفته بهذه العلوم ازداد فهمه واستيعابه لمعاني القرآن الكريم.

وبالمثل بالنسبة لدارس التاريخ والآثار، فمن الضروري للمؤرخ والآثاري أن يكون واسع الثقافة، ملماً بالعلوم المتصلة بدارسة التاريخ والآثار وكتاباتهم. وعلى هذا فيمكن أن نطلق على العلوم اللازمة للمؤرخ والآثاري – أو لغيرهم

(1) راجع عن العلوم المساعدة: حسن عثمان، منهج البحث التاريخ، الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر، القاهرة 1987م، ص25ـ66 ؛ طه باقر وعبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التأريخ والآثار، ص115ـ136 ؛ عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ، قضايا المنهج والإشكالات، مكتبة القدسي، القاهرة 1986م، ص41ـ54.

obeikandl.com

من الدارسين والباحثين بالنسبة لموضوع كل منهم- لفظ العلوم المساعدة أو العلوم الموصلة.

ويلاحظ أن العلوم المساعدة تختلف وتتفاوت بالنسبة لدارس التاريخ والآثار باختلاف العصر أو الناحية التي يرغب في دراستها والكتابة عنها.

فمثلاً: العلوم المساعدة اللازمة لدراسة تاريخ وآثار اليونان القديم تختلف عن العلوم المساعدة الضرورية لدراسة تاريخ وآثار عصر النهضة أو تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى.

ومنذ القرن التاسع عشر الميلادي شغل المهتمون بموضوع البحث في التاريخ بنوعية العلوم والمعارف والمهارات المطلوبة من باحث التاريخ وباحث الآثار بعد ذلك. فقال مابلي **Mably** في كتابه "مبحث في دراسة التاريخ" إن هناك دراسات تحضيرية لا يمكن لأي مؤرخ أن يستغني عنها، مثل: القانون الطبيعي، والقانون العام، والعلوم الأخلاقية، والسياسية".

وذكر دنو **Daunou** كذلك في كتابه "محاضرات في الدراسات التاريخية" ماهية الدراسات والمعارف التي يحتاج إليها المؤرخ، وقال إنها تتخلص "في الدراسات الأدبية والفلسفية: الأفكار والأخلاق والسياسية، فضلاً عن اللغات، ومعلومات في الفيزياء والرياضات".

وذكر كذلك فريمن **Freemen** أن "معارف المؤرخ يجب أن تشمل الفلسفة، والقانون، والمالية، والأجناس، والجغرافية، والأنثروبولوجيا، والعلوم الطبيعية".

والحقيقة فإن المؤرخ وكذلك الآثاري لا يستطيع تناول أي موضوع بالدراسة إلا إذا سلح نفسه بمعرفة سائر العلوم الاجتماعية الأخرى، ويتبين مدى العلاقة المتشابكة بين هذه العلوم ودراسة التاريخ، فالتعرف على هذه العلوم

يساعد المؤرخ والآثاري في التعرف إلى وجهات نظر جديدة، وطرق تحليلية مختلفة.

وفي هذه الحالة ينبغي على المؤرخ أن يكون على معرفة تامة بتلك المفاهيم والمصطلحات وطرق التحليل التي استمدها من هذه العلوم، ثم يعيد صياغتها لأغراض الكتابة التاريخية والأثرية.

وتتعدد هذه العلوم المساعدة فيما بين:

1 – علم اللغات.

2 - فقه اللغة **Philology**.

3 – علم قراءة الخطوط **Paleography** .

4 – الأختام.

5 – الرنوك **Heraldry**.

6 – علم النميمات **Numismatics** .

7 – الأدب.

8 – فنون الرسم والنحت والتصوير والعمارة.

9 – الفنون الموسيقية.

10 – علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) **Anthropology**.

11 – علم الاقتصاد والاقتصاد السياسي.

12 – علم الجغرافية.

13 – علم الاجتماع.

14 – علم السياسة.

15 – علم السكان.

16 – علم النفس.

obeikandl.com

17 – الارتحال والسفر.

18 – طائفة أخرى من العلوم..

1 – علم اللغات

اللغات من أهم العلوم المساعدة التي ينبغي على الباحث في التاريخ أن يتزود بها، ولا بد للباحث من معرفة اللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث؛ ذلك لأن الترجمة لا تغني حاجة المؤرخ والآثاري في الناحية التي يتناولها، وإن كانت تكفي الغرض من ناحية الثقافة العامة.

فمثلاً الباحث الذي يتناول تاريخ مصر القديمة يجب عليه معرفة لغتها وتطور هذه اللغة، والباحث في تاريخ اليونان القديم لا بد له من معرفة اللغة اليونانية القديمة، كذلك الراغب في كتابة موضوع عن العصور الوسطى في أوروبا ينبغي عليه أن يكون ملماً باللغة اللاتينية.

وأيضًا الباحث في تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى يلزم عليه أن تكون اللغة الأصلية له هي الفرنسية.

أما الباحث في التاريخ والآثار الإسلامية فعليه الإلمام الجيد باللغة العربية واللغة الفارسية واللغة التركية، وخاصة القديمة منها.

وكلما ازداد عدد اللغات الملمّ بها، اتسع أمامه أفق البحث والاستقصاء، ومن ثم فعليه دراسة ما يلزمه منها مهما كانت قديمة أو صعبة أو نادرة، مثل اللغة المصرية القديمة أو الفارسية أو الصينية أو الروسية؛ حتى يستطيع الرجوع إلى الأصول والمصادر التاريخية الأولى، والتي بدونها لا يستطيع الباحث السير قدماً في مجال البحث التاريخي والأثري.

كما ينبغي على الباحث في مجال التاريخ والآثار كذلك أن يلم بلغة أو أكثر

من اللغات الأوروبية الحديثة الشائعة الاستعمال؛ كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية، وهى لغات غنية بتراثها الأدبي والتاريخي، ويجذب انتشارها كثيراً من الباحثين إلى التأليف بها. ويجب ألا يفوت الباحث الثمرات التاريخية والأثرية التي كتبت بهذه اللغات.

وقد تبدو مسألة تعلم اللغات –الأصلية أو العامة- أمراً شاقاً- وقد يتردد بعض الباحثين في الإقدام على دراستها، ولكنها دراسة أساسية لمن يقوم بالبحث التاريخي والأثري.

ويجدر بالباحث أن يبدأ في دراسة ما يلزمه من اللغات بالمعاهد النظامية، وهى كافية كأساس مبدئي يستمر بعدها الباحث في تعلم المزيد، وحبذا لو تمكن الباحث من قضاء بعض الوقت في بلد تلك اللغة التي تعلمها حتى يتقنها.

2- فقه اللغة Philology

وهو من العلوم المساعدة الضرورية لمنهج البحث التاريخي والأثري، فكلما كانت الفترة المراد دراستها بعيدة الزمن، ازدادت أهمية فقه اللغة، إذ لا بد لفهم النصوص التاريخية من معرفة لغة ذلك العصر التاريخي المعين، ومن هنا تأتي أهمية هذا العلم الذي يعنى بتطور ثقافة اللغة.

فمعظم الباحثين يقعون في كثير من الأخطاء التاريخية بسبب سوء فهمهم لبعض الألفاظ والمعاني، فاللغة كائن حي ينمو ويتغير ويتطور تبعاً لظروف المكان والزمان وتغير الإنسان والثقافات.

ففي بعض الأحيان قد يدل اللفظ اللغوي على معنى محدد تماماً، كما يمكن أن يدل اللفظ اللغوي على معان نسبية أو متغيرة أو متضادة، وقد تدل كلمة واحدة على معان متفاوتة أو مختلفة باختلاف استخدامها عند كاتب معين.

ومن ثم فلا بد للباحث عند قراءته لمادة تاريخية مراعاة الزمن الذي كتبت فيه، حتى لا يفسر ما يقرأ على غير حقيقته.

ولقد التفت الأستاذ فيكو الإيطالي إلى أهمية فقه اللغة في فهم عصور التاريخ، على اعتبار أن الاشتقاقات اللغوية تكشف عن أسلوب الحياة والتفكير لدى شعب ما، ومن ثم فإن الألفاظ المستخدمة ترجع جذورها إلى صور من الحياة والتجربة بعيدة عما اعتاد عليه الباحث المعاصر.

فملاً نجد أن الرومان اقتبسوا لفظتي **Intellegere Dissere** واللتين تعنيان الفهم والمناقشة من الحياة الزراعية، حيث تدلان على البذل وجمع الحب بعد الحصاد.

كما نجد أن كلمة الثقافة **Culture** جاءت من البيئة الزراعية، بمعنى زراعة شيء في الذهن، فكلمة زراعة تعني **Agriculture**. أما كلمة **Agre** وحدها فتعني أرض.

إذاً فإن تطور اللغة لا ينفصل عن العقل الإنساني، ولفهم نص ما ينبغي معرفة اللغة التي كتب بها ومعرفة الظروف التاريخية، والثقافة العامة للعصر، فمن الخطأ أن نعطي الكلمة الواحدة معنى واحداً وكأنها رموز جبرية أو كيميائية ذات معنى محدد ومطلق.

ومن هنا تأتي أهمية المعاجم والقواميس، فلا يصح مثلاً أن تكشف عن معنى كلمة من العصور الوسطى في القاموس العصري، إلا إذا كان ذلك يعطينا تطور المعنى، أما إذا كانت لغة الوثيقة لغة ميتة، أي غير متداولة، وانتهت بانتهاء عصرها، كالمصرية القديمة أو اللاتينية القديمة أو اليونانية القديمة، والسنسكريتية والهندية، والتركية القديمة والفارسية، فنكتفي عند معرفتها بالقاموس العام.

obeikandi.com

ولقد تنبه الغرب المعاصر لذلك فوضع قاموساً لها ليعين الباحث على فهم لغة الدوريات ولغة الشارع.

3- علم قراءة الخطوط Paleography

يعد علم قراءة الخطوط **Paleography** من العلوم المساعدة الهامة في منهج البحث التاريخي، ذلك أن قد توجد أنواع كثيرة ومختلفة من الخطوط الشرقية والتي تظل كالطلاسم حتى يتعلمها الباحث ويتدرب على قراءتها.

ودراسة هذه الخطوط تحفظ له الكثير من الوقت، كما تجنبه الوقوع في كثير من الأخطاء.

وتتضح أهمية هذه الدراسة في فروع كثيرة، مثل:

تاريخ مصر القديم، وتاريخ بلاد العرب قبل الإسلام، وتاريخ اليونان، وتاريخ الرومان، وتاريخ العصور الوسطى، والتاريخ الأوروبي الحديث حتى أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وتاريخ الشرق الأدنى حتى القرن التاسع عشر، وذلك بالنسبة للغات التي تتعلق بهذه الموضوعات.

ولقد تطورت الخطوط العربية على سبيل المثال وكتبت بأشكال مختلفة، فمنها الطومار (نسبة إلى قلم الطومار، وكان يكتب به سلاطين مصر على المكاتبات ومناشير الإقطاع)، ومنها الكوفي، والمغربي النسخي، والرقعة، والثلث، والغبار (سمي بهذا القسم لدقته كأنه ذرات الغبار)، والتركي.

ولكل هذه الخطوط توجد أنواع يحتاج كل منها إلى تعليم وتدريب. فمثلاً نجد أن الوثائق العثمانية قد كتبت بعدة خطوط؛ مثل الخط الديواني، وخط القيرمة، وتستلزم قراءة هذين الخطين تعليماً خاصاً، فخط القيرمة مثلاً هو خط معقد كثير الزوايا والثنايا، وكانت تكتب به معلومات كثيرة في حيز ضيق،

obeikandl.com

فضلاً عن الأرقام الخاصة به، ولقد أوجده العثمانيون لتحرير الشئون المالية والإدارية، ولكي يحيطوا محفوظاتهم بالكتمان والسرية.

وعلى سبيل المثال نجد أن مجموعات وثائق دار المحفوظات القومية بالقلعة – مثلاً- تحتوي على آلاف الوثائق عن تاريخ مصر المالي والإداري في العصر العثماني وعصر محمد علي وخلفائه، مدونة باللغة التركية وبخط القيرمة، بالإضافة إلى الوثائق المدونة بهذا الخط في تركيا في أرشيف مجلس الوزراء، وستظل معلوماتنا عن هذه القرون قاصرة وناقصة حتى نجد من يتعلم هذا الخط ويتمكن من دراسة ما تتضمنه مخطوطاته من المعلومات على مدى سنوات طويلة.

كذلك فتوجد وثائق أوروبية أو غير أوروبية، كتبها سفراء الدول وقناصلها إلى حكوماتهم بالأرقام (الشفرة)؛ وذلك لإخفاء مضمونها عمن يحتمل أن تقع في أيديهم من الأعداء أو غير المرغوب فيهم، ومن ثم فينبغي على دارس التاريخ والآثار الإلمام بالطريقة التي تمكنه من فك هذه الرموز، بواسطة المفتاح الخاص بها، إن وجد في دار المحفوظات التاريخية أو "الأرشيف" الذي يعمل به.

ويوجد بالأرشيف الواحد أكثر من مفتاح واحد بطبيعة الحال، وتبعاً للظروف، كما تختلف مفاتيح دور الأرشيف من بلد لآخر. فمثلاً مفاتيح أرشيف الفاتيكان تخالف مفاتيح فلورنسا أو باريس أو لندن، ومن ثم يلزم على الباحث في التاريخ والآثار الإلمام بحل رموز هذه الدور إذا اقتضت دراسته ذلك.

كذلك نجد أن علم الوثائق من العلوم الأساسية في دراسة التاريخ والآثار. والوثائق في المعنى العام تدل على كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية وأثرية كالمكاتبات الرسمية أو شبه الرسمية، مثل: الأوامر، والقرارات، والمعاهدات، والاتفاقيات، والمراسلات السياسية، والكتابات التي تتناول مسائل

الاقتصاد والتجارة، أو عادات الشعوب وتقاليدهم، أو الوقفيات.

ومن ثم فينبغي على دارس التاريخ تعلم الأسلوب الخاص بمصطلحات الوثائق التي يدرسها. كما لا بد له من معرفة نوع المداد المستخدم في الكتابة ونوع الورق، والعلامات المائية والألياف، ويمكن استخدام بعض الوسائل العلمية لفحص ذلك من خلال استخدام العدسات المكبرة والتحليل الكيميائي لمعرفة عمر الورق، وأحياناً يمكن الاستعانة ببعض أنواع الأشعة الحمراء والبنفسجية لإظهار الخطوط غير الواضحة، والمطموسة، أو المغيرة عمداً، وكل هذه المعلومات تساعد الباحث على التحقق من صحة الوثائق التي تقع تحت يده.

4- الأختام

ومن العلوم المساعدة أيضاً، والتي تتصل بدراسة الوثائق، دراسة الأختام. وهى ذات أنواع وأشكال مختلفة. وقد شاع استخدام أختام الشمع منذ أزمان بعيدة ولا تزال مستخدمة حتى اليوم، كما وجدت الأختام المعدنية وخاصة من الرصاص، والتي استخدمها البابوات والملوك والأمراء، في أزمنة مختلفة.

ووجدت أيضاً أختام من الذهب بخاصة عند ملوك الكارولنجيين في العصور الوسطى، وظلت مستخدمة عند بعض الأسرات الحاكمة حتى أزمنة حديثة.

ولقد تعددت أشكال الأختام، فمنها المستدير، ومنها البيضي، ومنها المثلث، أو القلب، أو الصليب.

ومعرفة أنواع الأختام تفيد الباحث في التأكد من صحة الوثائق التي يقوم بدراستها.

5- الرنوك Heraldry

يعتبر هذا العلم من العلوم المساعدة في دراسة التاريخ والآثار، وكلمة "رنك" من أصل فارسية "رنچ"، بمعنى لون، استخدمت للدلالة على الشارة أو الشعار الشخصي أو العلامة المميزة التي تظهر على الأختام أو الدروع أو على ملابس السلاطين والأمراء أو على الأعلام والرايات وغير ذلك.

وقد اتخذ الحكام والسلاطين والأمراء شعارات لأنفسهم، مثل "زهرة اللوتس" التي اتخذها نور الدين محمود بن زنكي شعاراً له، أو "السبع" الذي اتخذه كل من السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وابنه السعيد بركه خان رمزاً لهما، أو "الوريدة" ذات البتلات الست التي كانت رنكاً لأسرة بني قلاوون، و"النسر" الذي يعد أحد الشارات الملكية، وكان هذا النوع من الرنوك يعبر عادة عما يتصف به الأمير من صفات، وقد يترجم هذا الرنك اسم السلطان أو الأمير إن كان للاسم معنى معيناً.

استعمل الرنك أيضاً للدلالة على الوظيفة التي كان يشغلها الأمير، مثل "الدواة" شعار الدوادار، و"السيف" شعار السلاحدار، و"القوس" شعار البندقدار، و"البقجة" شعار الجمدار، و"الكأس" شعار الساقي، و"الخونجة" شعار الجاشنكير، و"عصاتي البولو" شعار الجوكندار، و"حدوة الفرس" شعار أمير أخور، وغيرها من الرموز.

وقد نشأت تلك الشارات واستخدمت عند المصريين القدماء، وعند الحيثيين، وكذلك الإغريق والرومان وغيرهم، ويفهم ذلك من الكتب الدينية والأدبية القديمة، فقد وصلتنا بعض الإشارات عن أسد يهوذا، ونسور القياصر، وإن كان معناها في العصور القديمة يختلف عن مدلولها في العصور الوسطى، ذلك لأنها كانت مجرد رموز تتصل بالديانات والعقائد.

عرف المسلمون أيضاً الشعارات منذ عصر النبي ﷺ متمثلة في ألوان

الألوية والرايات، فكان اللون الأبيض يشير للرسول ﷺ يوم فتح مكة، وكذلك كان اللون الأبيض شعار الأمويين والفاطميين، أما العباسيون فقد اتخذوا اللون الأســود شعاراً لهم منذ ارتداه أبو مسلم الخرساني في رمضان سنة 129هـ/747م وجعله لون لوائه.

يصعب مع ذلك استنتاج أن الرنوك قد عرفت بمعناها الوظيفي قبل نهاية العصر الأيوبي، ثم انتشرت بعد ذلك في العصر المملوكي، وصار من الضروري إثباتها على ما يقيمونه من منشآت.

وقد جرت العادة عند ترقية أحد المماليك إلى درجة "أمير" أن يعطى رنكاً أو شعاراً يشير إلى وظيفته.

ويتألف الرنك عادة من منطقة واحدة، قد تكون مربعة أو بيضاوية أو كمثرية الشكل، وقد تنتهي أحياناً من أسفل بطرف مدبب شبه الدرع، وإن كان الشكل المستدير أكثر شيوعاً واستخداماً على التحف والعمائر التي ترجع إلى العصر المملوكي[1].

وينقسم الرنك إلى منطقتين أو ثلاث مناطق أفقية، تكون عادة المنطقة الوسطى أكبرها، وتسمى "شطًا" أو "شطب"، وقد يكون الرنك من لون واحد أو ذي ألوان متعددة، فقد ذكر المقريزي أن رنك الأمير "سلار" كان أبلق؛ أي أبيض وأسود.

وتظهر ألوان الرنك بجلاء على الزجاج المموه بالميناء، وعلى الفسيفساء، وعلى الأواني الخزفية، وعلى المنسوجات، وعلى التحف المعدنية المكفتة بالذهب والفضة، وعلى التحف الخشبية الملونة والمذهبة.

(1) أحمد عبد الرازق أحمد، الرنوك الإسلامية، القاهرة 2001م، ص47ـ56.

obeikandl.com

وكان الرنك يثبت على جميع الأشياء المنسوبة إلى صاحبه، فقد ذكر القلقشندي أنه كان يوضع على مطابخ السكر وشون الغلال والأملاك والمراكب، وغيرها من الأدوات المعدنية والخشبية والزجاجية، كذلك كان يوضع رنك المنشئ على العمائر المملوكية بمختلف أنواعها، فنجد من بين عمائر مدينة القاهرة المملوكية أكثر من مائة بناء تحمل رنوك منشئيها، وتشبه صكاً من صكوك الملكية للبناء. فنجد الرنوك منقوشة على المساجد والمدارس والحمامات وعلى القباب، كما نقشت على العملات الذهبية والفضية في مصر والشام.

نستطيع من دراسة الرنوك المملوكية أن نقسمها إلى عدة أنواع هي:

أ- الرنك البسيط

وتنقسم إلى: الرنوك الشخصية، والرنوك الوظيفية، وتشتمل في المعتاد على علامة واحدة تشغل المنطقة الوسطى من الرنك عادة.

ب- الرنك المركب

ويشتمل على أكثر من علامة، وقد بدأ هذا النوع بعلامتين، ثم تدرج حتى أصبح يتضمن تسع علامات في نهاية العصر المملوكي.

ج- الدروع / الخراطيش

وقد انفرد السلاطين بهذا النوع، ويتألف من درع مستدير أو كمثري أو مفصص الشكل، ويتضمن ثلاث مناطق في المعتاد، وتملؤه كتابات نسخية باسم السلطان، تشمل اسمه وألقابه والدعاء له.

د- التمغا

وهي عبارة عن رموز بعض القبائل التركية، عثر على بعضها منقوشاً على

التحف والمنشآت المملوكية.

وتعتبر معرفة الباحثين في التاريخ والآثار بموضوع الرنوك من الدلائل التي تجعله قادراً على إثبات صحة ما يراه من وثائق وتأريخها.

6- علم النميات Numismatics

هو العلم الذي يبحث في المسكوكات والأوزان والمكاييل والأختام والأنواط.

ويعبر لفظ "السكة" عن النقود الإسلامية التي تعامل بها في العصور الإسلامية المختلفة، من "دنانير" ذهبية، و"دراهم" فضية، و"فلوس" نحاسية، كما كانت تطلق على "قوالب الضرب" المعدنية التي كان يختم بها على النقود، وأطلقت أيضاً على الوظيفة التي تقوم على سك النقود تحت إشراف الدولة، كما قصد بالسكة أحياناً النقوش التي كانت تزين تلك النقود، سواء أكانت زخارف أو كتابات أو صور.

وقد تم تعريب "الدينار" سنة 77هـ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان وزنه الشرعي 4.25 جرامًا، وهو من وحدات السكة الذهبية، وكان مشتقًا من اللفظ اليوناني اللاتيني **Denaruis-Aureis**.

أما "الدرهم" فهو من وحدات السكة الفضية، وقد اشتق اسمه من "الدراخمة" اليونانية، أو "الدرم" الفارسية، ووزنه الشرعي 2.975 جرامًا.

أما الفلس فهو مشتق من الكلمة اليونانية **Follis**، وقد عرف العرب استعماله من البيزنطيين.

وضربت هذه السكة لتكون عملة مساعدة على رواج العملية التجارية البسيطة. واهتم المسلمون بوزن الفلس، فصنعوا له صنجات زجاجية لضبط وزنه، وهى صنجات مقررة بالقيراط أو الخروبة.

وتعتبر النقود الإسلامية مصدراً هاماً من مصادر التاريخ والآثار الإسلامية، كذلك تقدم النقود بما تحمله من صور للآلهة وملوك وأمراء، للباحثين مادة تاريخية للتاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى، كما تساعد في دراسة تاريخ الأساطير والعبادات والفنون والعلاقات السياسية، وتعتبر النقود بمثابة وثائق رسمية صحيحة لا يمكن الطعن في قيمتها، كما تعد مرآة صادقة للعصر الذي ضربت فيه، فتعكس بصدق جميع أحوال الدولة التي ضربت فيها من النواحي: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والأدبية والفنية وغيرها[1].

أ - الناحية السياسية

تعد النقود إحدى شارات الملك والسلطان، والتي يحرص كل حاكم على اتخاذها بمجرد توليه الحكم، فيأمر بنقش اسمه على النقود، وعلى شريط الطراز، والدعاء له في خطبة الجمعة.

كما تساعدنا النقود في دراسة الأسرات الحاكمة، وضبط تواريخ حكمها بصورة دقيقة، كذلك فإن تسجيل مدن الضرب على تلك النقود يوضح امتداد نفوذ كل حاكم، والأقاليم الخاضعة له.

ب - الناحية الدينية

حملت النقود الإسلامية منذ تعريبها على يد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة 77هـ ملامح العقيدة الإسلامية، والتي تتمثل في نقش شهادة التوحيد، وكذلك آيات من القرآن الكريم.

(1) رأفت النبراوي، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة سنة 2000م، ص5ـ31.

وتكمن أهمية النقود من الناحية الدينية في كونها تعكس المذهب الديني للحاكم، وأحياناً أخرى للشعب المحكوم، لما كان يسجل عليها من الشعارات الخاصة بالمذاهب الإسلامية المختلفة، فمثلاً نجد أن النقود الأموية والعباسية سُجل عليها عبارات سنية "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، بينما سُجل على النقود الفاطمية بعض العبارات الشيعية، مثل "علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين"، و"علي ولي الله".

سجل الصليبيون والبلاد المسيحية كذلك على نقودهم صور للآلهة أو عبارات التثليث المسيحية "باسم الأب والابن والروح القدس".

ج- الناحية الاقتصادية

كانت النقود الذهبية هي النقود الرئيسية في الكثير من الدول، إذ كانت تمثل انعكاساً للحالة الاقتصادية؛ ذلك لأن ارتفاع وزنها ونقاء عيارها يعدّان دليلاً على الازدهار الاقتصادي، كما كان الحال في العصر الطولوني والفاطمي، كما أن انخفاض وزنها وتدهور عيارها كانا دليلاً على تدهور الحالة الاقتصادية، مثلما كان الحال في العصر المملوكي.

وقد سجلت على النقود أيضاً بعض الكتابات التي تشير إلى جودة عيارها ووفاء وزنها، وتحث الناس على التعامل بها، فنقشت كلمة "بركة"، و"جيد" على الدراهم العربية الساسانية، وكلمة "طيب" و"واف" و"جائز" على الفلوس العربية البيزنطية، وكلمة "عال" و"غاية" على الدنانير الفاطمية.

كما حرص الحكام والمشرفون على دار السك في الوقت نفسه على تسجيل بعض الكتابات على النقود لحث المتعاملين بها على الالتزام بالوزن الشرعي، والبعد عن أي محاولة لتزويره أو غشه، مثل عبارة "أمر الله بالوفاء والعدل".

د - الناحية الاجتماعية

عــبّرت الــنقود عــن كــثير من مظاهر الحياة الاجتماعية، مثل الزواج والمصاهرة وحالات المرض والوفاة والمصالحة، وقد ضربت هذه النقود كتخليد لهذه المناسبات الهامة، وكانت توزع كهدايا على أولي الأرحام وكبار رجال الدولة والقواد والأمراء، لذا فقد كانت تختلف عن النقود العادية المخصصة للتداول.

ومن أمثلة نقود الزواج والمصاهرة: دينار يحمل صورة كل من الخليفة العباسي القائم بأمر الله والسلطان السلجوقي طغرل بك، مؤرخ بسنة 455هـ، وقد ضرب هذا الدينار التذكاري بمناسبة زواج السلطان السلجوقي طغرل بك من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله.

أما بالنسبة لحالات المرض، فنجد ديناراً تذكارياً باسم الخليفة العباسي المستضيئ بأمر الله مؤرخ بسنة 575هـ، يحمل جزءًا من آية الكرسي، وجزءًا من سورة الأعراف "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"، ثم دعاء "اللهم إني أسألك يا من بنوره تشرق الظلمة ويا من بفضله تسعد الأمم يا خالق اللوح والقلم".

وقد ضرب هذا الدينار بمناسبة مرض الخليفة المستضيئ بأمر الله في ذي القعدة سنة 574هـ، لذلك فقد ابتهل إلى الله بهذه الأدعية طالباً الشفاء ودفع البلاء.

وبالنسبة لحالات الوفاة، فقد ضرب السلطان الظاهر برقوق نقوداً نحاسية في حماة سنة 799هـ، وسجل عليها جزءًا من الحديث النبوي الشريف "كفى بالموت واعظاً"؛ وذلك لوفاة ابنه الصغير الأمير شعبان في العام نفسه.

أما عن نقود المصالحة فنجد دراهم أيوبية ضربت باسم كل من الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر، والصالح عماد الدين إسماعيل حاكم دمشق، والتي

تحمل مكان سكها بدمشق، ومؤرخة بسنة 641هـ، وقد ضربت هذه الدراهم بمناسبة عقد صلح بين كل من الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص.

هـ - الناحية الفنية

ومن الناحية الفنية فقد ظهرت على النقود زخارف نباتية وهندسية، استخدمت كهوامش أو فواصل بين الكتابات، أو لسد الفراغ على مساحة النقد، كما ظهرت عليها بعض الرسوم الآدمية أو الحيوانية، والتي كانت ترمز لبعض الحكام.

وتعتبر تلك الزخارف وسيلة من وسائل تأريخ التحف، ذلك أنها قد تمكنا من تأريخ تحف أخرى تحمل نفس الزخارف غير مؤرخة، فضلاً عما قد تتضمنه من توقيعات الصناع والألقاب، مثل لقب "الأمين" وهو نعت خاص لمحمد ابن الخليفة هارون الرشيد. فضلاً عما ضمته أيضاً من أسماء أمراء، وولاة عهد، وعمال خراج، ومشرفين بدور السك، والتي ساعدت على سد الكثير من الثغرات في التاريخ الإسلامي.

و - الناحية الأدبية

تجلت أهمية النقود من الناحية الأدبية فيما سجل عليها من أبيات شعر، والتي ظهرت على بعض النقود التذكارية.

كذلك فتعد النقود مدرسة لتعلم أنواع الخط العربي الذي ورد عليها بنوعيه الكوفي والنسخ، حيث ظهر من أنواع الخط الكوفي ؛ الكوفي البسيط، والكوفي المتقن الطرف، والكوفي المورق، والكوفي المزهر، والمربع، والمضفر.

كما ظهر على النقود من أنواع الخط النسخ؛ الثلث، والطغراء، والنستعليق.

ولم يقتصر الخط العربي على النقود الإسلامية، وإنما ظهرت أيضاً الكتابة اللاتينية على النقود العربية البيزنطية، والخط الفهلوي على الدراهم العربية الساسانية.

كما ظهرت للنقود أهمية أخرى من ناحية معرفة أنواع كتابة التواريخ الهجرية، وأهمية جغرافية من ناحية معرفة مدن ضرب النقود في العالم الإسلامي.

لذا تعد النقود من أهم المصادر التاريخية والأثرية.

7- الأدب

من العلوم المساعدة في منهج البحث التاريخي والأثري الأدب[1]، فهو وثيق الصلة بالتاريخ والآثار، حيث يعبر عن أفكار الإنسان وعواطفه، إذ يفصح عن دخائل البشر، ويصور أحلامهم، ويرسم نواحي مختلفة من حياتهم الواقعية في العصور المختلفة، وحياة الأفراد أو الجماعات، وحياة المدينة أو الريف، بل والنظم، والأحوال الاقتصادية، ومن العلم والفن، ومن الحرب والسلام، وكل ما يقع تحت حس الإنسان ويدخل في نطاق إدراكه أو تصوره.

فمثلاً ؛ الأدب المصري القديم يساعد الباحث في علمي التاريخ والآثار على فهم نواحي مختلفة من الحياة المصرية القديمة، ذلك إن البيئة المصرية القديمة بطبيعتها وتقاليدها وأحداثها قد أوحت إلى الكتاب المصريين القدماء التعبير عن مشاعرهم بلغة أدبية مؤثرة. فكتبوا عن الآلهة والحياة الآخرة، كما كتبوا في الغزل وصوروا الحب والغيرة والشجن، وأنطقوا الطير والشجر، وتغنوا بجمال الطبيعة، ودعوا إلى التمتع بالحياة، كما دونوا قصصاً خيالية رسموا فيها حياة

(1) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص38ـ40.

obeikandl.com

الأبطال، ونظموا الأناشيد والأغاني، وكتبوا أيضًا في الأدب التعليمي لتهذيب الأبناء، وتركوا آثاراً في فن الحكم والسياسة وأحوال المجتمع، كما حملوا على التقاليد، وأظهروا عقولاً حرة تدعو إلى التفكير والجدل. وبهذه الصور الأدبية قدموا شرحًا لحياة المصريين القدماء في نواح كثيرة، ولا يمكن لدارس التاريخ أو الآثاري أن يقبل على بحثه دون أن يتذوق من ثمرات أدبهم التي قد تعينه على فهم عقليتهم وحياتهم.

وبالنسبة للأدب الإسلامي، نجد مثلاً كتاب "ألف ليلة وليلة" يعطينا صورة واضحة عن الحياة في العالم الإسلامي في العصور الوسطى، مما يعطينا تصوراً للحياة داخل المنشآت المختلفة (دينية، تجارية، اجتماعية)، فتعين الباحث على معرفة كيفية استعمال الأدوات المختلفة داخل البيوت أو المساجد أو الحمامات – المنزلية أو العامة- والوكالات والفنادق، بل والشوارع والحارات، التي يجدها في الحفائر الأثرية والمتاحف، كما تعطي تصوراً لاستعمال أجزاء العمارة المختلفة من المحل وحتى الغرف الداخلية، وكيف كانت تفرش الأرضيات والحجرات تضاء، وتوزع غرف الاستقبال وأماكن إعاشة أهل البيت، وصلاة الأفراد العاديين وصلاة المتصوفة وعباداتهم، مما يعطي للباحث فكرة جيدة لتفسير التخطيط المعماري لتلك المنشآت[1].

نجد أيضاً في الأدب ما يصور لنا الحياة في المناطق الأثرية في الوقت الذي تتغير فيه تلك المباني بسرعة فائقة، فنجد في كتابات الأديب يحيى حقي وصفاً لتكية المولوية بمنطقة الحلمية في بداية القرن 20م قبل أن يتركها المتصوفة الأتراك والألبان مع ثورة يوليو 1952م، في قصته (دمعة فابتسامة).

(1) انظر:

Sanagustin, Floréal, Les Inellectuels en Orient Musulman Statut & Fonction, INSTITUT FRANCAIS D'ARCHEOLOGIE ORIENTALE, Le Caire 1999.

ودراسة الأدب بصفة عامة توسع عقل الإنسان وتصقل خبراته وتجعله أقدر على الفهم والاستيعاب والتحليل والنقد، الأمر الذي يعينه على دراسته التاريخية والأثرية.

8- فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة

يساعد الإلمام بفنون الرسم والتصوير[2] والنحت والعمارة الخاصة بعصر من العصور المختلفة الباحثين على فهم تاريخ هذا العصر؛ إذ تعكس هذه الفنون مجتمعة صوراً دقيقة عن حضارات البلاد التي يجري الباحث دراساته عليها، كما تظهر له صوراً عن حياة المواطنين الواقعية ونظمهم.

فمثلاً من يرغب في دراسة ناحية من نواحي تاريخ عصر النهضة في إيطاليا، يلزمه معرفة اليسير من الفنون التشكيلية في أواخر العصور الوسطى وفي عصر النهضة، كما يجب عليه معرفة آثار مصوري هذا العصر في العمائر المختلفة، ومحاولاتهم التعبير عن مكنون النفس البشرية في حركة الأعين وسمة الوجوه، ومحاولاتهم الخروج عن روح العصر، والسعي إلى التجديد والابتكار.

ومن هؤلاء المصورين: بوتتشلي وليوناردو دافنشي ورافايلو وميكل أنجلو، وقد أخذوا يستوحون التراث القديم في الشرق والغرب، كما استوحوا زمانهم وبيئاتهم، واستلهموا مكنونات نفوسهم، ورسموا المنظور والعمق، وصوروا المادة، واستخدموا الأشكال الهندسية، وأصبح كل خط من خطوطهم موضوعاً للتأمل والدراسة.

---

(2) تأتي أهمية دراسة التصوير وبخاصة في الكتب الأدبية مثل "كليلة ودمنة" و"مقامات الحريري" و"بستان" و"جلستان" الشاعر الفارسي سعدي وغيرها، لمعرفة أشكال وأسلوب المباني، وأسلوب السكن، والملابس، وطرق الزفاف والجنائز، والديانة والعقائد، وغير ذلك.

كذلك فإن الإلمام بفن العمارة والآثار الباقية، كالمنشآت الباقية أو التحف المنقولة من أهم مصادر دراسة التاريخ والآثار؛ وذلك لعمل المقارنات اللازمة أثناء الدراسة بين الطرز المختلفة، لتحديد التأثيرات المتبادلة بين منشآت وفنون البلاد المختلفة[1].

فالآثار تفيد المؤرخ والآثاري في الوقوف على درجة الإتقان التي وصل إليها فنانو العصر الخاضع للدراسة من تقدم ورقي، كما تفيده في معرفة التيارات الفنية التي تترك بصماتها في إنتاج الفنان المسلم، وشاهداً على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم أو تأخر فني، وكثيراً ما تعبر عن بعض النواحي السياسية الهامة، فالنفوذ الأندلسي على المغرب الأقصى في عصر دولة بني أمية في الأندلس يتجلى بصورة واضحة في مسجدي القرويين والأندلسي بمدينة فاس.

كذلك فإن سيطرة المرابطين والموحدين على الأندلس يعبر عنها الأسلوب الفني المشترك في كل من المغرب والأندلس، وغلبة الطابع الغرناطي على آثار المغرب كله منذ أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، حيث يعبر ذلك عن حقيقة هامة وهى هجرة الفن الأندلسي الغرناطي إلى المغرب بعد انتهاء دولة الإسلام في الأندلس.

يظهر ذلك أيضاً في العمائر المملوكية والعثمانية في مصر، في مئذنة جامع أحمد بن طولون، والزخارف الجصية في مئذنة مدرسة الناصر محمد بن قلاوون وضريح مصطفى باشا، والقاشاني "الزليج" في العمائر العثمانية، وغير ذلك، مما يدل أيضاً على الهجرات المغربية والأندلسية إلى مصر.

---

(1) أنظر: السيد عبد العزيز سالم، مناهج البحث في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية سنة 1967م، ص162ـ165.

كذلك كان ظهور الخوذة المفصصة يكسوها بلاطات خزفية خضراء بقمة مئذنتي جامع الناصر محمد بن قلاوون بقلعة القاهرة، واستخدام زخارف "الدالات" في إحدى هاتين المئذنتين، يعبر عن وصول تأثيرات مغولية إيرانية إلى مصر، وقد ذكرت لنا المصادر التاريخية علاقات سياسية واقتصادية متبادلة في عهد السلطان الناصر محمد وتلك البلاد نتج عنها هذه التأثيرات الفنية.

كذلك نجد في مصر جامع أحمد بن طولون الذي يرجع إلى القرن 3هـ/9م، أن أسلوب بنائه وزخارفه الداخلية والخارجية، وطراز مئذنته متأثر إلى حد كبير بالجامع الكبير لمدينة سامراء وجامع أبي دلف بنفس المدينة، والذي يدلنا على تأثير عراقي فارسي شديد الوضوح، بل منقول في أكثره، حيث إنه من المعروف أن أحمد بن طولون مؤسس الجامع من أصل تركي، ولد في سامراء وعاش فيها، وتأثر بما شاهده من منشآت بها، فنقل هذا الطابع إلى مصر.

تفيد الآثار كذلك في دراسة تاريخ العمران المدني؛ لأن الآثار تحدد المعالم البارزة للمدينة الإسلامية، وتخطيطها في العصور الوسطى، كما تحدد الأسوار المختلفة أو التي أقيمت في عصر لاحق، فتوضح لنا الاتساع أو الانحصار العمراني للمدينة موضوع الدراسة. كما تحدد المنشآت تجمع الكتل العمرانية داخل وخارج المدينة، وتحدد نوعية المدينة سواء كانت عاصمة كبغداد وسامراء والقاهرة، أو ثغرًا من الثغور كالرقة والإسكندرية ورشيد ودمياط.

ومن ثم تعد الآثار المعمارية من العلوم المساعدة اللازمة لدراسة التاريخ والآثار، فعلم الآثار يعنى بترتيب مخلفات الحضارة القديمة، وتفسيرها واستنباط الحقائق التاريخية والأثرية، ولا يقف عند هذا الحد فحسب بل يفحصها جميعاً، ويعمل على تحديد مستوى الحضارة التي أنتجتها.

ومجمل القول أن دراسة شيء من فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة

في عصر ما، يساعد على دراسة التاريخ والآثار والكتابة والتحليل لهذا العصر.

9- الفنون الموسيقية

تعد الفنون الموسيقية وما يرتبط بها من فنون المسرح والرقص مرآة صادقة تعكس الكثير من صور الحياة الخاصة بعصور التاريخ المختلفة، والتي لا تكفي الكتابات التاريخية أو الوصفية أو الأدبية أو الشواهد الأثرية في التعبير عنها[1].

فمن يرغب في دراسة ناحية من تاريخ العصور الوسطى، فعليه أن يلم بشيء من الألحان الجريجورية **Gregoria Chants** الكنسية، والتي تصور إيمان الناس وشكواهم مما حل بهم من اضطراب الحياة، وابتهالهم إلى الله ليرفع عنهم ما نزل بهم من المحن، كما توضح تفاني بعض رهبانهم في محبة الله والبشر، ذلك أن الألحان الجريجورية هي مجموعة من الألحان الموسيقية الدينية والتي ترجع إلى أصول قديمة وثنية وعبرية ووسيطة، ويرجع أساس نموها إلى صدق الرهبان وإخلاصهم وإحساسهم بحال العالم في العصور الوسطى، وتطلعهم إلى عالم أفضل في الدنيا والآخرة، بتمجيد الرب والتقرب إليه والتفاني في محبة الله والبشر.

كذلك ينبغي على دارس التاريخ والآثار الإلمام بشيء من الألحان الشعبية ذات النغمة الواحدة، أو المونوفوينة، التي كانت تصدح بها آلات شعراء التروبادور، المتأثرة بألحان شعوب المشرق حتى بلاد الهند، والتي كان يؤديها بعض الشعراء مصحوبة أحياناً بحركات من الرقص الجماعي الدائري، وأحياناً

(1) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص44ـ52.

مصحوبة بالغناء، والتي توضح أوجه الشبه والتأثير المتبادل بين تراث الشرق والغرب.

كذلك ينبغي على الباحث في منهج التاريخ والآثار أن يدرك شيئاً عن النمو الموسيقي المتدرج، وذلك بظهور الألحان "البوليفونية" المتعددة في درجات الأداء الصاعدة والهابطة المتآلفة، والتي استطاعت أن تعبر عما في نفوس البشر من معاني، وما يقع تحت حسهم من المشاهد.

كذلك على الباحث أن يتذوق اليسير من فنون المسرح الديني، أو المشاهد التمثيلية التي كانت تقام في ذلك الوقت.

يجب على الباحث أيضاً أن يتذوق طرفاً من موسيقى العصر الرومانسي في مجالي الفن والأدب في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، والتي تبلورت في روائع الألحان التي ألفها أمثال "بالسترينا" أو "مونتفيردي" أو "باخ"، والتي تتضمن ألحاناً تصف الطبيعة، أو ألحاناً دينية تعبر عن عذاب البشرية، وكذلك بعض موسيقى "بيهوفن"، والتي تعبر عن ثورته على طغيان نابليون على أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر، وبخاصة سيمفونيته الثالثة المسماة بالبطولة.

وموسيقى "ڤيردي" التي تعد حملة صادقة على الطغاة وانتصاراً لدعاة الحرية في إيطاليا بل وفي أوروبا والعالم أثناء القرن التاسع عشر.

وبالتالي فإن المتذوق لأشياء من فنها يصبح أقدر على فهم روح العصر، وأقرب إلى الواقع والحقيقة التاريخية والأثرية.

وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر من العالم حيث الحضارة الإسلامية، فقد أمدتنا كتب التراث بألحان الأغاني التي كانت متداولة في هذا الوقت، سواء كانت دينية

أو دنيوية، كما أمدتنا الوثائق بأسماء الآلات التي كانت تستعمل في أذكار الصوفية، وخاصة متصوفة الطريقة المولوية، والتي كانت تعزف أشعار مولانا جلال الدين الرومي مؤسس الطريقة، وعلى الباحث معرفتها وخاصة أن بعض هذه الألحان تعزف إلى اليوم في أذكار الصوفية بنفس الآلات المحفوظ البعض منها في المتاحف.

وقد أدركت الكثير من الجامعات ومعاهد العلم في جميع أنحاء العالم المتحضر أهمية الثقافة الفنية الموسيقية، فجعلتها من بين مناهج الدراسة في كليات الآداب بها، كما يوجد في كثير من جامعات الغرب فرق موسيقية مكونة من الموهوبين من الأساتذة والطلاب، حيث يقومون معاً بعزف روائع الموسيقى الكلاسيكية، والمقصود من ذلك أن تخدم هذه الثقافة الفنية سائر الدراسات الأدبية أو الإنسانية أو العلمية، والتي من بينها دراسة التاريخ والآثار، فضلاً عما تعمله هذه الثقافة الفنية الموسيقية من العمل على تهذيب النفس والسمو بالروح.

ينبغي أيضاً على الباحث في التاريخ والآثار أن يقرأ مختارات من آثار المؤرخين القدماء والمحدثين، مثل "هيرودوت" و"توسيديد" و"ماكيافلي" و"جيبون" و"رانكه" و"الطبري" و"أبو الفرج الأصفهاني" و"ابن خلدون" و"ابن حجر العسقلاني" و"المقريزي"، وغيرهم ممن صوروا الحياة في العصور الوسطى.

يجب على الباحث أن يقرأ أيضاً من المؤلفات الحديثة في التاريخ والآثار بصفة عامة، ويتزود بالقراءة عن العصر أو الناحية التي يتناولها في بحثه، ويلم بالطرق المختلفة لكتابات المؤرخين والأثريين، ويتبين مزاياهم وعيوبهم، ولا يأتي هذا إلا عن طريق الإلمام بقدر مناسب من الثقافة التاريخية العامة والخاصة على السواء.

10 - علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) Anthropology

يعد هذا العلم من أكثر العلوم الاجتماعية ملاءمة للمؤرخين والأثريين على السواء[1]، ذلك أن علماء الإنسان والمؤرخين والأثريين يواجهون مشكلات كثيرة مشتركة، إذ تظهر بينهم اختلافات متشابهة في الرأي عند بحثهم.

ومن أهم أسباب التخبط والاختلاف في علم الإنسان، أن مادته - كما هو الحال بالنسبة للتاريخ والآثار - ذات صبغة عامة، وعلى هذا فقد ظهرت أربعة فروع منفصلة لعلم الإنسان، هي:

أ – علم الإنسان الطبيعي، الذي يدرس التطور البيولوچي، وتغير السلالات.

ب - علم الآثار، الذي يسعى إلى اكتشاف ثقافات الإنسان.

ج – علم اللغات الأنثروبولوچي، الذي يحلل الثقافات الشفاهية والمدونة.

د – علم الإنسان الثقافي، الذي يدرس الثقافات المعاصرة، والشخصيات، والعلاقات البشرية.

يعالج علم الإنسان المسائل التاريخية من خلال تتبعه للتطور البشري، وانتشار البشرية على سطح الأرض، ونشأة الثقافات الإنسانية.

فمناهج علم الإنسان الطبيعي هي في أساسها مناهج التاريخ والآثار، والتي تساعد الباحث في المنهج التاريخي والأثري بالتأكيد في دراسته.

11 – علم الاقتصاد والاقتصاد السياسي

يعد علم الاقتصاد من العلوم الأساسية التي يساعد الإلمام بها على دراسة التاريخ والآثار، ذلك أن للعوامل الاقتصادية دور فعال في سير التاريخ والآثار،

(1) عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ، ص44ـ49.

obeikandi.com

فمثلاً الثروة الطبيعية في بلد ما تحدد نوع الإنتاج الزراعي والصناعي بها، ونوع التبادل التجاري ومدى نشاطه، وتوزيع الثروة الطبيعية ومدى تركزها في طبقة أو مستوى توزيعها بين فئات الشعب، كذلك فإن الاقتصاد يؤثر في السياسة الداخلية للدول، ويؤثر في نظام الحكم فيها، ومستوى الرخاء أو الفقر، بل وفي حياة الشعب كله، وعلاقة طوائفه ببعضها البعض، كما يؤثر في حركة العمران والحضارة، وفي علاقة الدولة بالدول المحيطة بها، سواء من الناحية الاقتصادية البحتة أو السياسية، كما يؤثر العامل الاقتصادي على مستوى القوة العسكرية، ومركز الدولة في المجتمع الدولي.

ومن الأمثلة الواضحة على أثر الظروف الاقتصادية في مجرى التاريخ والآثار، نجد مثلاً أن العامل الاقتصادي كان من بين العوامل الهامة التي أدت لاندفاع العرب عند ظهور الإسلام من شبه الجزيرة العربية ذات الطبيعة المجدبة إلى سهول العراق الفسيحة وربوع الشام المورقة.

كذلك فقد أرجع الكثير من الباحثين ثراء المماليك في مصر والبنادقة في إيطاليا إلى مرور طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب بمصر، وتأمينها بعد إنهاء خطر المغول، واسترجاع الشام من يد الصليبيين، وأخذ البنادقة لها إلى أوروبا، نري ذلك في انتشار الأسواق في مصر لتجارة البهار والمنسوجات الهندية وغيرها، كما نراه في المنشآت الضخمة والفخمة، والمنشآت التجارية بأنواعها – الوكالات والفنادق والخانات والقياسر- للمماليك في مصر والشام.

وكان تحول طريق التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا سبباً في تدهور دولة المماليك واستيلاء الدولة العثمانية على مصر والشام، كما تدور حال تجار البنادقة حتى سيطر العثمانيين على معظم حوض البحر الأبيض المتوسط وانتشار تجارة البن، واحتياج البنادقة للقمح، فاضطروا

لعقد معاهدات تجارية مع الدولة العثمانية ومسالمتها، عندما هدد السلطان العثماني بمنع إرسال القمح في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وعاد نشاطهم مرة أخرى.

ظهر بعد ذلك الانقلاب الصناعي في أوروبا في القرن الثامن عشر كنتيجة للمخترعات الحديثة، التي أدت إلى ثورة في النظم الاقتصادية، إذ أملى على دول أوروبا الغربية سياسة التوسع والاستعمار للحصول على المواد الخام، ولإيجاد أسواق لتصريف منتجاتهم الصناعية.

وعلى أثر ذلك حاولت كل من إنجلترا ونابليون القضاء على الآخر باستخدام السلاح الاقتصادي والسيطرة على البلاد الواقعة على طرق التجارة الدولية، فكانت حملة نابليون على مصر في أواخر القرن الثامن عشر، والتي كانت تهدف في الأساس إلى تهديد مركز إنجلترا الاقتصادي في الهند بقطع أقصر الطرق إلى الهند على إنجلترا لكي تحملها على الاستسلام والخضوع. وفي الجانب الآخر جدد الفرنسيون ومن بعدهم محمد علي قلعة القصير على البحر الأحمر، وظهر مشروع قناة السويس الفرنسي، والسكك الحديدية الإنجليزي، مما غير من خريطة مصر والمنطقة كلها، كما غير من أساليب التجارة الدولية.

نستشف مما سبق أن الظروف الاقتصادية قد لعبت دوراً هاماً في توجيه مصائر الشعوب، وقد يؤدي التنافس في سبيلها إلى كوارث وويلات تحل بالبشر، كما يؤدي إلى التفاهم والتقدير المتبادل في شأنها إلى أن تسلك البشرية في حياتها سبيلاً للسلام.

ومن ثم فينبغي على الباحث في التاريخ والآثار أن يلم بتاريخ الحركات الاقتصادية، ودراسة الأحوال الاقتصادية للعصر ككل، أي في كل المنطقة التي يتناولها بالدراسة وليس في البلد الذي يعمل فيه وحده.

12 – علم الجغرافية

تعد الجغرافية من العلوم المساعدة الضرورية لدارسي التاريخ والآثار[1]، فالارتباط بين التاريخ والآثار والجغرافية ارتباطاً وثيقاً، أو ارتباط بين الزمان والمكان، فالأرض هي المسرح الذي وقعت عليه أحداث التاريخ، وبنيت عليه المنشآت التي أصبحت أثراً، وهى ذات أثر كبير في توجيه مصائر الإنسان، فللطبيعة دور كبير للتأثير في دور الإنسان في البيئة التي يعيش فيها، وكيفية العمل على استغلالها.

فنجد للظواهر الجغرافية المختلفة أثراً كبيراً في الإنسان، وبالتالي في الأحداث التاريخية والشواهد الأثرية، وذلك مع غيرها من المؤثرات، تبعاً لنوع تفاعل الإنسان مع تلك الظروف ومع بيئته.

فالسهول، والجبال، والصحاري، والوديان، والأنهار، والبحار، والخلجان، والغابات، والجزر، والمناخ، والرياح، ونوع الثروة الطبيعية، والموقع الجغرافي، كلها عوامل تؤثر في تكوين الإنسان، وفي لغته، ونبرة صوته، ولون بشرته وعينيه وشعره، وفي أساطيره وديانته، وفي ملكاته العقلية، وفي فلسفته، وفي أدبه، وفي موسيقاه، وفي هندسته ومعماره، وفي تخطيط مدنه، وفي علمه، وفي طبه ودوائه، وفي رسمه وتصويره ونحته، وفي خلقه وسيكولوجيته، وفي قوانينه وشرائعه، وفي حرفه ومهنه، وفي كل نواحي حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

نجد مثلاً أن الجغرافية تؤثر في معتقدات الإنسان، إذ يعتقد بعض سكان المناطق الباردة أن الجحيم عبارة عن عالم يسوده الظلام الحالك والزمهرير

(1) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص32ـ36.

والبرد القارص، ويعتقد سكان المناطق الحارة أن الجحيم عبارة عن عالم تسوده الحرارة والنيران المتأججة.

ومما يوضح لنا أيضاً أثر الجغرافيا في التاريخ والآثار، وما تؤديه من دور حاسم في تغيير مجرى أحداث التاريخ والمنشآت الأثرية، نجد مثلاً أن البحر قد عاق تقدم تيمورلنك إلى أوروبا بعد أن هزم السلطان العثماني بايزيد الأول في موقعة أنقرة سنة 1402م، وبذلك لم يتمكن تيمورلنك من القضاء على الدولة العثمانية التي استعادت مكانتها بعد وقت قليل، وأدت هذه الواقعة للشرق الأدنى كله دورها التاريخي في عصر تقدمها وقوتها.

ولا بد للباحث في تاريخ مصر وآثارها معرفة أحوالها الجغرافية، فالنيل هو مصدر حياة مصر وهبته الكبرى، فلقد تركزت حياة المصري القديم في هذا الوادي الضيق الخصيب، وقد علمهم فيضان النيل هندسة الري، وجعلهم يدركون معنى الوحدة والتعاون في سبيل تحقيق المصلحة المشتركة، نظمت كذلك الصحاري المحيطة بوادي النيل اتصاله بالعالم الخارجي، وحددت هجرات الشعوب منه وإليه، فلا نستطيع أن ننكر أن موقع مصر الجغرافي قد أ؟تاح لها الفرصة لتكوين إمبراطورية عظيمة في عهد الملك تحتمس الثالث، كذلك موقع مصر الجغرافي بين الشرق والغرب كان له دور في توجيه اقتصادها، نتيجة لمرور التجارة العالمية بأراضيها في العصور الوسطى، والتي بفضلها استطاعت أن تشيد حضارة متقدمة، وأن تصد قوى الغرب خلال فترة الحروب الصليبية والغزو المغولي للمنطقة.

وحينما تحول طريق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح بفضل الكشوف البرتغالية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، أصيبت مصر وغيرها من دول أوروبا وبصفة خاصة مدينة البندقية بضربة قوية، فهبطت

تجارتها واختلت ماليتها، واضطرب نظامها السياسي، حتى إن السلطان المملوكي قانصوه الغوري لم يقو على أن يقف في وجه القوات العثمانية الزاحفة عليه في سنة 1516م، وبذلك فقد زالت دولة المماليك في مصر والشام من الوجود السياسي سنة 1517م.

كذلك فان موقع مصر الجغرافي قد مهد الفرصة للوالي العثماني "محمد علي" لا بمحالة الاستقلال بمصر فحسب، بل ولغزو الدولة العثمانية نفسها في عقر دارها، وذلك لمحاولة إقامة إمبراطورية مصرية قوية في النصف الأول من القرن التاسع.

كان موقع صقلية كذلك في جنوب إيطاليا وفي وسط البحر الأبيض المتوسط، جعلها عرضة لغارات ومؤثرات بشرية وحضارية مختلفة، فتأثرت باليونان والقرطاجيين والرومان والعرب المسلمين، والنورمان والأسبان، وامتزجت بها عناصر مختلفة ومتنوعة تفاعلت معها، فأصبحت صقلية مغايرة لسائر أنحاء إيطاليا، وتطورت بها الحضارة والتي تجلت ثمارها في الفكر والعلم والأدب في النصف الأول من القرن الثالث عشر.

وقد أثرت العوامل الجغرافية في تأسيس المدن واختيار موقعها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، حينما فتح عمرو بن العاص مصر واحتل الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت، وأراد اتخاذها مقراً لحكم المسلمين في مصر بدلاً من بناء مقر آخر، وقال "مساكن قد كفيناها"، وبعث لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك، فسأل عمر: "هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟"، فقال له رسول عمرو بن العاص "نعم يا أمير المؤمنين، إذا جرى النيل"، يقصد فيضان النيل، فكتب عمر بن الخطاب: "إني لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف"، فتحول عمرو من الإسكندرية إلى

الفسطاط[1]. وبنى عمر مدينة الفسطاط كأول مقر لحكم المسلمين في مصر إلى الشرق من النيل.

وقد تأثرت المدن التي بنيت على النيل بموقعه، فأصبح أحد أضلاعها هو النيل كعنصر من عناصر الحماية والدفاع، كالفسطاط ورشيد وغيرها من المدن.

وهذه الأمثلة جميعاً توضح لنا أهمية الجغرافيا بالنسبة للباحث في مجال التاريخ والآثار، حيث توضح مدى ارتباط كل منهم بالآخر. ومن ثم فعلى الباحث معرفة الأحوال والعوامل الجغرافية المختلفة التي تحيط بالشعب أو العصر أو الناحية التي يدرسها، وذلك على النحو الذي يزيد من إمكانيته في البحث والدرس والفهم.

13 – علم الاجتماع

يعتبر علم الاجتماع من العلوم المساعدة ذات الصلة الوثيقة بعلمي التاريخ والآثار، والتي يحتاج الباحث إلى الوقوف عليها لتساعده على فهم الأحداث التاريخية وما نتج عنها من عمران، وعلم الاجتماع كعلم الإنسان، يقوم على دراسة الأفعال والعلاقات الإنسانية[1].

ولما كانت اهتمامات علمي التاريخ والآثار تدرس التغير الاجتماعي، مثلما تدرس التغير السياسي والاقتصادي والديني والحربي، حيث يهتم بدراسة حركة المجتمع داخل الزمان.

---

(1) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، ت. 845هـ/ 1441م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط)، جزءان، بولاق 1854م، ج1، ص 295.

(1) عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ، ص45-49.

obeikandl.com

ومن الموضوعات التي تهم كلاً من علماء الاجتماع والمؤرخين والآثاريين على حد سواء، دراسة "الطبقة الاجتماعية" ومكانتها في المجتمع.

ومفهوم "الطبقة" لدى علماء الاجتماع هي تجمعات يقيم أفرادها علاقات فيما بينهم، ويؤيدون استمرار تلك العلاقات على أساس من المساواة بينهم تمييزاً لهم عن أفراد آخرين من أعضاء المجتمع يتميزون عنهم، وذلك– ولو إلى حين- بمقياس للاستعلاء أو التدني، معترف بها في إطار مجتمعهم، وتنشأ طبقة ما نتيجة تفاوت الظروف الاقتصادية بين الأفراد، من حيث قدرتهم على الكسب والإنفاق.

ويهتم علماء الاجتماع بأسس التناقض الطبقي وأنماط السلوك التي تميز مختلف الطبقات، وبأنواع التوتر التي تنشأ بين تلك الطبقة، وكلها مسائل تهم المؤرخ والآثاري دون شك، وتساعده في تفهم أحوال المجتمع بالنسبة لمجال دراسته.

فعلى سبيل المثال عندما قدم الفاطميون إلى مصر ونقلوا خلافتهم إلى مقر جديد بنوا له مدينة القاهرة، وكانوا يعتنقون المذهب الشيعي وأهل مصر أهل سنة، فأقاموا نظام جيد للتعليم لنشر المذهب الشيعي عن طريق الجامع الأزهر، واهتموا بالاحتفالات لإبهار المصريين بالخلافة الجديدة، وليندمجوا فيها.

وإذا أخذنا مثلاً لذلك طبقة المماليك التي طفت على السطح كنتيجة مباشرة لفترة الحروب الصليبية والغزو المملوكي، ثم أسسوا دولة تحكم طبقات الشعب الأحرار في مصر والشام، نتج عن ذلك إنشاء سلاطين المماليك وأمرائهم للعديد من المنشآت الاجتماعية التي تجذب طبقات الشعب المختلفة إليهم، كالأسبلة لشرب المياه، والكتاتيب لتعليم الأطفال الأيتام، والبيمارستان لعلاج المرضى، والمدارس للتعليم، والخانقاوات للمتصوفة، وأوقفوا للصرف عليها المباني

والأراضي التي تدر الأموال الكثيرة.

14- علم السياسة

وهو العلم الذي يهتم بدراسة طائفة مختارة من العمليات الاجتماعية التي تؤدي إلى تحديد السياسات، واتخاذ القرارات، والتي تدور حول شرح مفهوم القوة الاجتماعية ببعضها البعض، وعلاقتها بجهاز الحكم، وفي النهاية ترسم السياسة العامة.

يهتم علم السياسة أيضاً بتحليل العوامل السياسة التي تشكل الظاهرة السياسية، مثل طبيعة الاقتصاد وبنائه، والبناء الطبقي الاجتماعي، والمعتقدات الدينية، ومذاهب العقيدة السياسية والثقافية.

وعلى الرغم من أن الأمور السياسية تعتبر هي المحور الرئيسي الذي دارت حوله اهتمامات المؤرخين والآثاريين إلى حد كبير.

ومن ثم فينبغي على الباحث أن يصب اهتماماته على دراسة العلوم السياسية، حيث إن مجال كل من علم التاريخ والآثار من جهة وعلم السياسة يكاد يكون متشابهاً إلى حد كبير، وهى من الأمور الضرورية للمؤرخ. والقاعدة في هذا "أن التاريخ يبدأ حيث تنتهي السياسة"، وينتج عن ذلك طبيعة وفخامة ونوعية المنشآت الأثرية.

15- علم السكان

يعتبر هذا العلم من العلوم التي يجب أن يلم بها المؤرخ والآثاري، ويعد علم السكان أحد فروع علم الاجتماع، حيث يتناول دراسة أعداد الشعوب وتكوينها وتوزيعها الجغرافي، والتغيرات التي تطرأ عليها من زيادة أو نقصان، نتيجة لعوامل مختلفة عديدة، مثل: التناسل أو الوفاة أو الهجرة أو غيرها.

ويلاحظ هذا المجهود المتزايد الذي يبذله علماء السكان في أبحاثهم للنواحي الوصفية والتحليلية لعلم السكان، وشرح للعلاقات القائمة بين السكان والعوامل الأخرى المؤثرة في الشئون الإنسانية.

فإذا أخذنا عنصر الهجرة على سبيل المثال، نجد أنه في نهاية القرن 7هـ/ 15م نتيجة للغزو المغولي لوسط آسيا ووصولهم إلى بلاد الشام، ثم هزيمتهم على يد المماليك، نتج عن هذا هجرات متتابعة من وسط آسيا وحتى الشام، واستقروا في مصر، مما أدى إلى ظهور عناصر معمارية وزخرفية كثيرة في عمائر وتحف سلاطين المماليك.

كما أثرت الحروب الصليبية في استقرار الكثير من الأسرى الصليبيين بمصر، فوجدنا واجهة مجموعة السلطان المنصور قلاوون (القبة والبيمارستان والمدرسة) نسخة طبق الأصل تقريباً من واجهة كاتدرائية صقلية.

وبهذه الصورة نستطيع أن نتبين الصلة الوثيقة بين علم السكان وعلم التاريخ وعلم الآثار، إذ قد يضطر الباحث إلى الرجوع لمصادر علم السكان لتفسير ظاهرة تاريخية ما أو أثرية لها جانب سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي.

16- علم النفس

يعتبر علم النفس بفروعه المختلفة من العلوم اللازمة لدراسة التاريخ والآثار، إذ تدخل العوامل النفسية في تفسير بعض العوامل الإنسانية[1]. لذلك يجب على الباحث التزود بالأسلوب العلمي الذي يقدمه له علم النفس حتى تكون تفسيراته أقرب إلى الواقع إذا ما أخذ بهذا الأسلوب.

(1) عاصم الدسوقي، البحث في التاريخ، ص46-48.

ولما كان علم النفس يهتم بدراسة جوانب النفس البشرية، وأن التاريخ يدرس أفراد مجتمع ما والآثار يدرس منتجاته من عمارة وفنون تشكيلية، في محاولة لمعرفة الدوافع المختلفة للفرد في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وغيرها.

لذلك كان لزاماً على الباحث الإلمام بشيء من الدراسات النفسية التحليلية لكي تمكنه من تفسير الدوافع التي تحرك الأفراد، وخاصة الأبطال منهم والزعماء والعظماء، فمن ذلك تحليل الباحث لوضع آيات معينة من القرآن الكريم في مناطق معينة من المبنى، وكذلك طريقة تكرار الزخارف.

17- الارتحال والسفر

ومن الأمور الأساسية للباحث في التاريخ والآثار ألا يلتزم بحدود بلده، بل ينبغي عليه السفر والارتحال داخل بلاده وخارجها، وذلك في سبيل البحث، لكي يرى آفاقاً جديدة، فضلاً عما سيكتسبه من خبرات شعوب وبيئات مختلفة. كذلك فمن الضروري للمؤرخ والآثاري أن يقضي فترة أو فترات متعددة في البلد الذي يدرس نواحي تاريخه وآثاره.

وربما كان من الأفضل أن يبدأ الباحث سفره بعد الانتهاء من فترة تعليمه الجامعي في بلده الأصلي، وبعد أن يحدد الناحية التي يرغب في الكتابة عنها، ثم يسافر إليها ويبدأ في الكشف عن الحقائق التاريخية والأثرية، ويزور الأماكن المختلفة، ويدرس ويتأمل، ولكن يجب ألا تبهره الأضواء في البلد التي يزورها، وعليه إيجاد الرابطة والصالة بين تلك البلد وبين وطنه وبين سائر البلدان والشعوب والحضارات.

ولا بد للباحث في التاريخ والآثار – كغيره من أهل الدراسات الأدبية أو

العلمية أو الفنية- لا بد له من متابعة أسفاره في الداخل والخارج طوال حياته، لأن ذلك من شأنه أن يجدد من ثقافته ويزيده علماً وتجربة وثقة في نفسه.

وفي الغالب فإنه لا يمكن كتابة البحوث العلمية الأصلية من دون السفر والارتحال، ذلك لأن العدول أو التوقف يعوق عجلة التقدم ويصيب الأمم والأفراد بالركود والجمود والتأخر، ويوقف سير العلم.

فقد كان أسلافنا من العرب المسلمين في عهد مجدهم يجوبون الآفاق في عصر الدابة والشراع والمشي على الأقدام طلباً للعلم.

ولقد أزداد نشاط الأسفار في طلب العلم في العصر الحديث، وفي الأمم المتحضرة والناهضة والكبيرة والصغيرة على السواء، إذ إن ذلك من شأنه تقدم الشعوب والنهوض بالعمران.

وسأضرب مثلاً للباحث في التأثيرات الإيرانية على الآثار الإسلامية في مصر، أو التأثيرات الشامية على آثار مصر الإسلامية، فيجب عليه مشاهدة آثار إيران والشام مشاهدة متأنية، حتى يتعايش معها ويستطيع دراسة العناصر المعمارية والزخرفية التي بين البلدين ومن أين ظهرت.

كما أن السفر البلدان الأوروبية وأمريكا يعطي الباحث بعداً جديداً في التفكير العلمي، لأن الاختلاط بالمدارس العلمية المختلفة يعطي الباحث أبعاداً فكرية أكبر، وينمي قدرته على التفكير والإبداع.

18 – طائفة أخرى من العلوم

ينبغي على الباحث في مجال التاريخ والآثار الإلمام بطائفة من العلوم المساعدة، إذ يلزمه الإلمام بدراسة شيء من علم المنطق، الذي يساعده في بنائه التاريخي والأثري[1].

كما ينبغي عليه أن يدرس فلسفة التاريخ، وآراء المفكرين، مثل: آشينجلر وبرمسون وكروتشي وكولنجوود وغيرهم.

كما ينبغي عليه الإلمام التام بأشياء من علم الآثار (الحفائر – التسجيل الأثري – تاريخ الفن العلم – التصوير الفوتوجرافي – الرسم المعماري)، وعلم الأجناس، ومن القانون، وعلم الإحصاء والرياضة، والفلك (لمعرفة استخدام الأسطرلاب -البوصلة فيما بعد- الذي يعتمد في تحديد الاتجاهات على النجوم والقمر الذي كان يستخدمه المسلمون في السفر عبر البحار أو الصحاري)، وعلم النبات، وعلم الحيوان التي سيتعرف منها على أنواع النباتات والحيوانات المستخدمة في الزخارف والمخطوطات المصورة **Painting** التي يتعرض لها أثناء دراسته، والتي تفيد – وبخاصة الكتب الأدبية كألف ليلة وليلة - في معرفة الباحث لظروف الحياة والمعيشة وطريقة الملبس، وشكل المسكن، وأشكال أواني الطعام والشرب وطرق استخدامهم.

ينبغي على الباحث أيضاً ألا يكتفي بتحصيل ثقافته العامة أو الخاصة من الكتب والمراجع فحسب، بل يشمل ذلك أيضاً خبرته بالحياة العملية، سواء أكان ذلك في دائرة أهله وعشيرته، أو كان في نطاق بلده، أو كان ذلك في دائرة أوسع في المجتمع الإنساني. ذلك أن الخبرة التي يكتسبها الباحث من خلال الملاحظة والممارسة العملية من شأنها أن تجعله أقدر على فهم واستيعاب أعمال الإنسان في حقبة ما، من خلال تقدير الظروف التي أحاطت به، والتي أدت به

(1) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص50ـ52.

إلى اتخاذ مواقف وقرارات معينة، أو يبني مبنى بعينه، أو يتخذ زخارف معينة، حيث لا يجوز لدارس التاريخ والآثار أن يكون في عزلة عن البشر، وذلك لكي يكون أقرب لفهمهم والتعبير والكتابة عنهم مهماً كان البعد الزمني بينه وبينهم.

كان هذا عرضاً سريعاً عن مختلف أنواع الثقافات والخبرات والعلوم المساعدة والخبرات اللازمة لمن يتصدى للكتابة في التاريخ والآثار.

فليس المقصود بذلك التوسع أو التعمق في كل هذه النواحي لذاتها، إذ أن هذا الأمر فوق متناول البشر، ولكن المقصود أن يتناول الدارس ما يلزمه بقراءة بعض الكتب العامة أو الخاصة، وقد يزيد ذلك في نواحي معينة من هذه العلوم المساعدة، بحسب طبيعة الموضوع الذي يتناوله.

ويبدو أيضاً من العسير جمع هذه الثقافة المتنوعة، ولكن تخصيص بعض السنوات قد يكفي للوصول إلى المستوى المناسب من الثقافة اللازم لنوع الدراسة التي يكتب عنها.

وإن روح العلم الصحيح لا تعرف العقبات، وبالصبر والإخلاص يصل الإنسان إلى هدفه.

هذا لا يمنع أن نقرر أن الآثاري والمؤرخ يجب أن تكون ثقافته ومعارفه متنوعة ومتطورة مع الجديد دائماً.